آيات الميزان في القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

مقدم من الدكتورة

خوله حسين أحمد أبو منشار

بسم الله الرحمن الرحيم

آيات الميزان في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

الملخص:

هذا البحث هو تطبيق عملي للون من ألوان التفسير وهو التفسير الموضوعي يعرض دراسة موضوعية للفظ "الميزان" وما جاء من صيغ ومشتقات لمادة "وزن" في السياق القرآني وذلك باستعراض الآيات المكية والمدنية والوقوف على المعاني المتعلقة بهذه الصيغ اللغوية ودلالاتها ومن أبرز هذه المعاني والدلالات قيمتي" العدل " و"التوازن "، ثم استنباط الآثار الاجتماعية والنفسية والفكرية لهاتين
القيمتين كما توضحها الآيات القرآنية بما يبين اهتمام القرآن العظيم بلفظ الميزان ومشتقاته للتحذير من غياب قيمة العدل واختلال الموازين في المجتمع الإنساني وتوجيهه نحو العمل على تحقيق العدل والتوازن .

Al-mizan verses in the Holy Quran (Objective Study)

Abstract:

This study is a practical model for one type of Al-Tafseer which is Almawdou'i. It shows an objective study for the word "Al-mizan" and its forms and derivations for the concept "balance" in the Quran context according to Meccan and Medinan verses, and determining the related meanings to these concepts and its connotations, and one of the most important meanings and connotations are the values of "justice" and "balancing", then concluding and finding the social, psychological and intellectual effects for these values as its clarified in the Quran verses, which shows the concern of the Holly Quran of the word Al-mizan and its derivations, and warn about the absence of justice and disrupt of the balances in the society and direct it to work for achieving justice and balancing.

قائمة المحتويات

العـــــنوان	الصفحة
الملخص	٣٢٧
قائمة المحتويات	٣٣١
المقدمة	٣٣٣
المبحث الأول: الميزان مفهومه ودلالاته في ضوء القرآن الكريم.	٣٣٥
المطلب الأول: مفهوم الميزان لغة واصطلاحا	٣٣٥
المطلب الثاني: دلالة الميزان في ضوء القرآن الكريم	٣٣٧
المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية والنفسية لتحقيق ميزان العدل في ضوء القرآن الكريم	٣٤٩
المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية والنفسية لقيمة التوازن في ضوء القرآن الكريم	٣٥٦
الخاتمة	٣٦٨
قائمة المصادر والمراجع	٣٧١

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على خير الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإنه لما شهد واقعنا المعاصر في المجتمعات الإنسانية من غياب لقيمتي العدل والتوازن في التطبيق العملي وانتشر في مجتمعنا الإسلامي كثيرا من صور الظلم والبغي والعدوان المادية والمعنوية كما شاع في بلادنا العربية والإسلامية عددا من الجماعات والأحزاب المتطرفة والتي أساءت لإسلامنا الحنيف الذي اختص بالربانية والتوازن ، دفعني ذلك نحو البحث في آيات الميزان في القرآن الكريم وبيان أهمية هذا اللفظ وإبراز معانيه ودلالاته متناولا مفهوم الميزان في ضوء القرآن الكريم والوقوف على أهم معانيه وهما العدل والتوازن .

ولما كان العدل قيمة خلقية عظيمة بينها القرآن وحث عيها وكان التوازن سمة بارزة لهذا الدين وناموسا إلهيا في الكون كان لا بد من الوقوف على آثارهما الاجتماعية والنفسية والفكرية مع بيان ما يترتب على فقدانهما من آثار سلبية على المجتمع الإنساني .

وقد آثرت أن يكون بحثي هذا في مفهوم الميزان ودلالاته والآثار الاجتماعية والنفسية والفكرية المترتبة على تحقيق قيمة الميزان (العدل) والتوازن في ضوء القرآن الكريم بعد أن أصبح عالمنا المعاصر ومجتمعاتنا الإنسانية تفتقد لهاتين القيمتين العظيمتين في الواقع الإنساني والتطبيق العملي علما بأن هاتين القيمتين تعدان أساس صلاح الكون واستقامة الحياة البشرية على الأرض وتحقيق السعادة والطمأنينة للمسلم خاصة وللإنسان عامة. الأمر الذي يحتم علينا نحن المسلمين إعادة النظر في قيمتي العدل والتوازن ووجوب تطبيقهما في مجالات الحياة الاجتماعية والفكرية.

وجدت دراستين حول هذا الموضوع هما : الميزان في القرآن الكريم (دراسة لغوية) للدكتور رفاه عبد المحسن الفتلاوي / كلية الفقه – قسم علوم القرآن والحديث الشريف– جامعة الكوفة .

- **ميزان العدل في سورة المطففين للدكتور : أحمد فريد أبو هزيم مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون سنة ٢٠١١ / الجامعة الأردنية .**

وقد جاءت دراستي لآيات الميزان دراسة موضوعية حاولت فيها أن أبرز المنهج القرآني في بيان حقيقة الميزان ودلالات هذا اللفظ بجميع صيغه ومشتقاته والآثار الاجتماعية والنفسية والفكرية المترتبة على تحقيق ميزان العدل والتوازن في حياة البشرية.

وذلك من خلال إتباع المنهج الوصفي الموضوعي يتمثل بجمع الآيات المتعلقة بلفظ الميزان معنونة حسب مشتقاتها وتصاريفها وصيغها، فقد ذكرت هذه اللفظة القرآنية في اثنين وعشرين موضعا جاءت في أربع عشرة سورة من القرآن الكريم اثنتا عشرة سورة مكية واثنتان مدنيتان، مع ترتيب هذه الآيات بحسب نزولها ثم الوقوف على معاني هذه اللفظة ودلالاتها المتنوعة بحسب السياق القرآني ثم استنباط الآثار الاجتماعية والنفسية والفكرية المترتبة على تلك الدلالات والمعاني، بما يظهر تميز القرآن الكريم في تحقيق السعادة البشرية للناس جميعا وخدمة الحياة الإنسانية ومعالجة قضاياها من أجل أن نعود بأنفسنا إلى التوازن الفكري وتحقيق العدل في مجتمعاتنا الإنسانية التي تعاني من اختلال الموازين في هذا العصر وفي جميع المجالات المادية والمعنوية .

وتحقيقا لهذا هذا البحث فقد قسمته إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة كما يأتي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث وغايته وخطة البحث.

المبحث الأول: الميزان مفهومه ودلالاته في ضوء القرآن الكريم.
المطلب الأول: مفهوم الميزان لغة واصطلاحا
المطلب الثاني: دلالة الميزان في ضوء القرآن الكريم
المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية والنفسية لتحقيق ميزان العدل في ضوء القرآن الكريم.
البحث الثالث: الآثار الاجتماعية والنفسية لقيمة التوازن في ضوء القرآن الكريم

الخاتمة: أهم نتائج البحث وتوصياته ثم اتبعها بقائمة المصادر والمراجع.

الميزان لغة واصطلاحا (تعريف الميزان في اللغة والاصطلاح)

الميزان في اللغة آلة الوزن، وأصله "موازن" انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وقام ميزان النهار أي انتصف ويقال وزنت فلانا ووزنت لفلان قال تعالى "" وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ "(١) ودرهم وازن أي تمام ووازنت بين الشيئين موازنة ووزانا وفلان وزين الرأي أي رزينه. (٢)

وفي لسان العرب الميزان: العدل والمقدار يقال وازنه عادله وقابله وحاذاه، ويقال وزن الشعر وزنا فاتزن فهو أوزن من غيره أي أقوى وأمكن وفلان أوزن القوم أوجههم وهو وزين الرأي أصيله. (٣)

وذكر ابن عاشور أن الميزان اسم آلة الوزن "والوزن تقدير تعادل الأشياء وضبط مقاديرها وهو مفعال من الوزن، وشاع إطلاق الميزان على العدل باستعارة لفظ الميزان للعدل على وجه التشبيه تشبيه المعقول بالمحسوس. (٤)

والوزن لغة هو "معرفة قدر الشيء يقال وزنه وزنا وزنة والمتعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسط والقبان وقوله تعالى " وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ "(٥) " وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ

---

(١)سورة المطففين الآية

(٢)الجوهري _ إسماعيل بن حماد ، الصحاح ، مادة وزن باب النون فصل الواو ٦/ ٢٢١٣ تحقيق – أحمد عبد الغفور العطار

(٣)ابن منظور – جمال الدين محمد بن مكرم – لسان العرب، مادة وزن ١٥/ ٢٠٦ ، دار صادر ط ٢٠٠٣

وينظر الفيروز أبادي ،محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ص١٧٥١، تحقيق أنس محمد الشامي ط، دار الجديث القاهرة (١٤٢٩ – ٢٠٠٨

(٤)ابن عاشور – محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ٢٧ / ٢٣٧ط ، الدار التونسية للنشر

(٥)الشعراء /١٨٢

" [١] إشارة إلى مراعاة المعدلة في جميع ما يتحراه الإنسان من الأقوال والأفعال وقد وصف الله مخلوقاته في هذا الكون بقوله (" وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ " [٢] إشارة إلى كل ما أوجده الله تعالى وأنه خلقه باعتدال.[٣] وأصل هذه المفردة "وزن" كما قال ابن فارس "بناء يدل على تعديل أو استقامة وزنت الشيء وزنا والزنة قدر وزن الشيء"[٤]

الميزان اصطلاحا :

وفي ضوء ما تقدم من المعنى اللغوي للفظ الميزان والوزن يتبين لنا أن الدلالة اللغوية لمادة "وزن" وهي:

١-التعديل والاستقامة ٢- الإيفاء والتسوية ٣ العدل من غير زيادة ولا نقصان

٤- معرفة قدر الأشياء ، فضلا عن كونها آلة الوزن التي توزن بها الأشياء وتعرف مقاديرها نحو الميزان والمكيال والقرطاس .

وذكر أبو البقاء أن الوزن مظروف والميزان ظرف وجيء بلفظ الميزان مفردا في النظم القرآني اعتبارا بالمحاسب وبلفظ الجمع اعتبارا بالمحاسبين . [٥] وهناك معان أخرى متعددة دل عليها السياق القرآني سأذكرها في موضعها من البحث.

---

(١)الرحمن الآية ٩

(٢)الحجر الآية ١٩

(٣)الراغب الأصفهاني : الحسين بن محمد ، المفردات ص ٥٢٢ ، دار المعرفة – بيروت تحقيق ، مجمد سيد الكيلاني

(٤)ابن فارس : أحمد بن فارس – معجم مقاييس اللغة ، ١/ ٥ كتاب الواو باب الواو والزاء وما يثلثهما ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، طبعة دار الجيل (١٤٢٠- ١٩٩٩)

(٥)الكفوي – أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات،ص٩، تحقيق: د عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م

المطلب الثاني: مفهوم الميزان ودلالاته في ضوء القرآن الكريم:

وردت هذه اللفظة ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثلاث وعشرين موضعا بصيغ لغوية عديدة، جاءت تارة على وزن فَعِل "الفعل المجرد للمعلوم" نحو قوله تعالى " وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ" الشعراء/١٨٢

وتارة أخرى جاء بلفظة "الوزن" مصدر من الفعل الثلاثي المجرد "وَزن"، وأخرى جاء لفظ "الميزان" على وزن "مِفعال"، وجاء تارة أخرى بلفظ الجمع "الموازين" على وزن "مفاعيل".

وسأعرض في هذا المطلب جدولين أحدهما يعرض الآيات المكية التي تحمل لفظة الميزان وصيغها وهي ثلاث عشرة آية.

وثانيهما يعرض الآيات المدنية لهذه اللفظة وذلك ليظهر من خلال دراسة هذه المادة اللغوية في مختلف صيغها وتصريفاتها في القرآن الكريم .

ملحوظات حول دلالة هذه اللفظة بحسب السياق الذي وردت فيه ومن ثم استنباط الآثار والعبر المستفادة وذلك على النحو الآتي :

جدول الآيات المكية التي تضمنت مادة الميزان ومشتقاتها

الرقم	الشاهد من الآية	المفردة	السورة	الآية
١	"فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ"	موازينه	القارعة	٦
٢	"وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ"	موازينه	القارعة	٨
٣	"وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"	الوزن موازينه	الأعراف	٨
٤	"وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ"	موازينه	الأعراف	٩
٥	"فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ"	الميزان	الأعراف	٨٥
٦	"وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ"	وزنوا	الشعراء	١٨٢
٧	وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ	وزنوا	الإسراء	٣٥

٨	وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ	الميزان	هود	٨٤
٩	أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ	الميزان	هود	٨٥
١٠	وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ	موزون	الحجر	١٩
١١	وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ	الميزان	الأنعام	١٥٢
١٢	اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ	الميزان	الشورى	١٧
١٣	فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا	وزنا	الكهف	١٠٥
١٤	وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامة	الموازين	الأنبياء	٤٧
١٥	فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ	موازينه	المؤمنون	١٠٢
١٦	"وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ"	موازينه	المؤمنون	١٠٣
١٧	"وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ"	وزنوهم	المطففين	٣

ثانيا: الآيات المدينة

الرقم	الشاهد من الآية	المفردة	السورة	الآية
١٨	وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ	الميزان	الحديد	٢٥
١٩	وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ	الميزان	الرحمن	٧
٢٠	أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ	الميزان	الرحمن	٨
٢١	وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ	الوزن الميزان	الرحمن	٩

من خلال النظر في الجدولين السابقين نلحظ ما يأتي:

أولا: وردت مادة "وزن" المتعلقة بلفظ الميزان في السياق القرآني في ثلاث وعشرين موضعا ثماني عشرة منها في السور المكية وخمسة في السور المدنية ي إحدى وعشرين آية، وقد جاءت هذه المواضع في أربع وعشرين سورة اثنتا عشرة منها مكية و سورتان مدنيتان.

ثانيا: الآيات المكية التي تحدثت عن هذه المادة "وزن" ومشتقاتها أكثر من الآيات المدنية التي تناولت الموضوع ذاته، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة العهد المكي والظروف التي تحيط بذلك المجتمع الجاهلي من اختلال الموازين وانعدام العدل والمساواة وتطفيف الكيل والميزان.

لذلك فقد أولى القرآن الكريم هذه اللفظة اهتماما جليا بهدف وصف ما كان عليه القوم من عدم تحقيق العدل وتفشي الظلم بينهم واختلال المعايير والموازين في ظل جاهلية وظلال كانوا يعيشونه بعيدا عن هدي الله تعالى وشريعته.

ثالثا: لمادة "الميزان" في القرآن الكريم خمس صيغ على النحو الآتي:

- الصيغة الأولى:الفعل المجرد للمعلوم على وزن "فَعَلَ" وقد وردت في السياق القرآني ثلاث مرات وذلك في قوله تعالى "وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ"(١) ،

وقوله تعالى "وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيم "(٢) ، وقوله تعالى " وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ "(٣)

ملحوظات على الاستعمال القرآني للفعل المجرد للمعلوم من مادة "وزن"

---

(١)الإسراء / ٣٥

(٢)الشعراء / ١٨٢

(٣)المطففين / ٣

جاء اللفظ في هذه الآيات بصيغة فعل الأمر من" وزن " " يزن " "زن" أي : أوفوا الكيل وزنوا بالميزان العدل لأن لفظ " القرطاس" يضم القاف وكسرها هو اسم للميزان (آلة الوزن) وهو لفظ رومي يعني العدل مركب من كلمتين (قسط) أي : عدل ، وطاس أي : كفة الميزان [١] .

وهذه الصيغة دلت على وجوب إيفاء الكيل والميزان على وجه العدل والتسوية بين كفتي الميزان من غير زيادة ولا نقصان قبل أن يأتي للإنسان يوم توزن فيه أعماله ، ويوفى فيه حسابه فأوجب الله الوزن بالميزان وهو العدل ليقضي بين الناس ويحكم فيهم .

الصيغة الثانية: المصدر "الوزن" من الفعل الثلاثي المجرد "وزن" والوزن من وزنت كذا وكذا أزنه وزنا وزنة مثل: وعدته أعده وعدا وعدة [٢] **جاءت ثلاث مرات في السياق القرآني قال تعالى " وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ"**[٣] **وقوله تعالى " فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا"** [٤] **، وقوله تعالى "" وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ"**[٥]

ملحوظات على الاستعمال القرآني للمصدر من مادة "وزن" جاءت هذه الصيغة في السياق القرآني بمعنيين اثنيين هما :

---

(١)الطبري _ أبو جعفر محمد بن جرير-- جامع البيان (تفسير الطبري) – ٥٩١/١٤ ، تحقيق د. عبدا لله بن عبد المحسن التركي ،د. عبد السند يمامه – دار هجر للطباعة والنشر –، سنة ٢٠٠

(٢)الطبري – جامع البيان ٦٧/١٠ ، وينظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير – ١٥/ ٩٨

(٣)الأعراف / ٨

(٤) الكهف / ١٠٥

(٥)الرحمن / ٩

١- القضاء السوي والحكم العادل [١] وذلك قوله تعالى " وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ" الأعراف /٨ فيوم القيامة توزن أعمال العباد" الحسنات والسيئات" ويجازى كل إنسان بما عمل ووصف الوزن بالحق لأنه تعرف به حقيقة كل أحد وما يستحقه من الثواب والعقاب ، وذهب الأصفهاني إلى أن القضاء بمنزلة الكيل لأن الكيل والوزن سواء في معرفة المقادير كال الدراهم والدنانير وزنها . [٢]

٢- القدر : أي توزن صحف أعمال العباد يوم القيامة بميزان له كفتان ولسان تنظر إليه الخلائق تأكيدا للحجة وإظهارا للعدل، وقد روي عن أبي سعيد ألخدري يأتي الناس يوم القيامة بأعمال هي عندهم كالجبال ،فإذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أي : نزدري بهم ولا نقيم لهم عندنا وزن ومقدار [٣]

وهذا المعنى في قوله تعالى من سورة الكهف" أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا " الآية ١٠٥ .

---

(١) الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد – الكشاف ، ج ٢ / ٨٩ ، دار الكتاب العربي= بيروت ، ط ٣، عام ١٤٠٧هجري ،
وينظر أبي حيان الأندلسي :محمد بن يوسف بن علي – البحر المحيط ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ط عام ١٤٢٠ هجري

(٢) الراغب ، المفردات – ص٥٢٢

(٣) الزمخشري –الكشاف ، ٧٤٩/٢

الصيغة الثالثة: الميزان على وزن "مفعال" كالميلاد والميعاد اسم للآلة التي يوزن بها الأشياء [١] **ورد تسع مرات في القرآن الكريم كقوله تعالى: " وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ" "أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ "وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ "الميزان"** [٢]
وقال تعالى : "وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ" [٣] **"وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ"** [٤]
"أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ" [٥] **"وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ"**[٦]
"اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ" [٧] **"وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ"**[٨]

مما تقدم نلحظ تكرار لفظ الميزان في الآيات الكريمة ولعل فائدة ذلك ترجع إلى التشديد في التوصية بالميزان والتأكيد على استعماله والحث عليه ، وقد ذكر الميزان في سورة واحدة ثلاث مرات – سورة الرحمن – وهي سورة مدنية [٩]**، وفي كل مرة جاء اللفظ بمعنى، فالأول : الميزان اسم آلة الوزن ، والثاني : بمعنى المصدر أي الوزن ، والثالث : بمعنى اسم المفعول أي : الموزون ، وذكر الكل بلفظ " الميزان" لأنه أشمل للفائدة ، قال الزمخشري عند تفسيره للآية " ووضع الميزان " : " ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال**

---

(١)ابن منظور – لسان العرب – مادة " وزن " ، ١٣/ ٤٤٦
(٢)الرحمن / الآية ٧-٨=٩
(٣)الأعراف / ٨٥
(٤)هود / ٨٤
(٥)هود / ٨٥
(٦)الأنعام / ١٥٢
(٧)الشورى /١٧
(٨)الحديد / ٢٥
(٩)السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين – الإتقان في علوم القرآن – ١/٤١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط / ١٣٩٤- ١٩٧٤

ونحوهما والمعنى خلقه موضوعا على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والعدل في أخذهم وإعطائهم " [١]

وقيل : وضع الميزان إشارة إلى العدل أي أثبت العدل والنظام والتوازن في الأشياء الكونية كلها قال " صلى الله عليه وسلم " : " بالعدل قامت السموات والأرض "[٢] وفيه لطيفة وهي أنه تعالى بدأ أولا بالعلم ثم ذكر ما فيه أشرف أنواع العلوم وهو القرآن ثم ذكر العدل وذكر أخص الأمور للعدل وهو الميزان،

وَبَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْمِيزَانِ مُنَاسَبَةٌ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ، وَالْمِيزَانُ فِيهِ مِنَ العدل مالا يُوجَدُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْآلَاتِ . [٣]

وعند ابن منظور : (الميزان : العدل ، وازنه عادله وقابله ،وعدل الموازين والمكاييل : سواها، وعدل الشيء يعدله عدلا وعادله وازنه) . [٤]

الصيغة الرابعة : صيغة جمع التكسير (الموازين) جمع ميزان على وزن " مفاعيل " جاءت هذه اللفظة سبع مرات في السياق القرآني نحو قوله تعالى "وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ" [٥]

"فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ" [٦]

---

(١)الزمخشري ، ٤/٤٤٤

(٢)هذا الحديث ذكره مرفوعا الآلوسي :شهاب الدين محمود عبد الله الحسيني في تفسيره: روح المعاني ١٤/ ١٠١ ، تحقيق –علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥، ولم أجده في كتب الحديث بحسب ما اطلعت عليه .

(٣)الرازي : أبو عبد الله محمد بن عمرين الحسن التيمي ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) – ٢٩/ ٣٤٣ دار إحياء التراث العربي – بيروت، طبعة الثالثة – ١٤٢٠

(٤)ابن منظور : لسان العرب ١٥/ ٢

(٥) الأنبياء/ ٤٧

(٦)الأعراف/ الآية ٨ ،٩

"فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ" "وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ" . (١)

"فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" "وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ" (٢)

ملحوظات على هذه الصيغة :

وقد جاءت هذه الصيغة على معنيين :

=أولا: الموازين : جمع ميزان وهو آلة الوزن المعروف في الدنيا بعمود وكفتين توزن به أعمال العباد وصفه تعالى بالقسط أي العدل وقد روي في الأثر أن صاحب الموازين يوم القيامة جبريل " عليه السلام" . (٣)

وإذا تأملنا هذه الصيغة (جمع التكسير) نستدل منها على أنه في الحقيقة هو ميزان واحد عبر عنه بلفظ الجمع على أساس تعدد الأعمال الموزونة فيه، أو لأن لكل أحد من الناس وزن يخصه فجمعها لكثرة من توزن أعمالهم . (٤)

= ثانيا: الموازين : الحسنات والسيئات إشارة إلى أعمال العباد فمنها ما هو ثقيل في الميزان وهو ما له قدر ومنزلة عند الله مثل الإيمان والعقائد وأنواع الطاعات ، ومنها ما هو

---

(١)القارعة / الآية ٦,٨

(٢)المؤمنون / ١٠٢,١٠٣

(٣)الطبري ، جامع البيان ١٨ / ٤٥٢ تحقيق / أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠– ٢٠٠٠ .

(٤)ابن عطية : عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي ألمحاربي – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ٤/ ٨٥ – تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢ ، وينظر الرازي : مفاتيح الغيب ١٤٩/٢٢

خفيف لا وزن له ولا قدر عند الله تعالى مثل المعاصي والآثام [١] ويوضح هذا المعنى ما جاء في قوله تعالى "فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ" الأعراف / الآيتان ٨، ٩

وقوله تعالى في سورة المؤمنون " فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" "وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ" الآيتان ١٠٣/ ١٠٤ ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه بإتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلا ، وخفت موازين من خفت موازينه بإتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا لأن الحق ثقيل والباطل خفيف . [٢]

الصيغة الخامسة :

موزون اسم المفعول من الفعل وزن " يزن ، وقد جاءت هذه الصيغة في موضع واحد من الآيات قوله تعالى " " وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ". [٣]

وقوله " موزون " يعني : المقدار المعلوم وإنما قال موزون لأن الوزن يعرف به مقدار الشيء ، وقيل موزون بمعنى مقسوم ومعدود.[٤] وذكر الزجاج أن معنى موزون " مقدور جرى على

(١)البيضاوي : ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج ٣/ ٦ - ٤/ ٩٥تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هجري

(٢)الرازي : مفاتيح الغيب ج ٣٢ / ٢٦

(٣)الحجر / ١٩

(٤)القرطبي - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجى، الجامع لأحكام القرآن -= تفسير القرطبي، ج١٠/ ١٣ ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم طفيش، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية

وزنٍ مِنْ قَدَرِ اللَّه عزَّ وجلَّ لا يُجَاوِزُ ما قَدره الله عليه، لا يستطيع خلقَ زيادة فيه ولا نقصانا"[1]

ومعنى الآية أن الله تبارك وتعالى أوجد وخلق الأشياء مقدرة في علم الله مخلوقة بدقة وإحكام وتدبير تابع لأمره ومشيئته يصرفه حيث يشاء وكما يريد في الوقت الذي يريده حسب سنته التي ارتضاها وأجراها في الناس والأرزاق. [2]

الخلاصة :

– في ضوء ما تقدم من دراسة الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الميزان ومادة " وزن" بصيغها ومشتقاتها دلت الآيات على المعاني الآتية :

١– الإيفاء والتسوية ٢– العدل من غير زيادة ولا نقصان

٣– التعديل والاستقامة ٤– معرفة قدر الأشياء وأخيرا آلة الوزن التي توزن بها الأشياء وتعرف بها مقاديرها كالميزان والمكيال والقرطاس ولعل أكثر المعاني أثرا وتأثيرا في حياتنا والتي تدور حولها الآيات هو : العدل المتمثل بالحق وإعطاء كل ذي حق حقه وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بالميزان تقريبا للأذهان فالميزان الذي يتعامل به الناس في حياتهم اليومية ومعاملاتهم في البيع والشراء إنما يقوم على تعادل وتساوي كفتي الميزان في الموزونات والمكاييل وهو العدل والحق .

وأما المعنى الثاني والذي لاتقل أهميته عن المعنى الأول في التأثير والأثر على الحياة الإنسانية هو : التوازن القائم على تساوي كفتي الميزان أي : التساوي بين طرفين أو جانبين

---

(١)الزجاج : إبراهيم بن السري بن سهل أبو اسحاق– معاني القرآن وإعرابه ، ج٣/ ١٧٦، تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي، الناشر
عالم الكتب – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٨–١٩٨٨)

(٢)قطب : سيد قطب إبراهيم حسين – في ظلال القرآن – ج٤/ ٢١٣٤ ، دار الشروق بيروت – القاهرة ، الطبعة ١٧–١٤١٢

من جوانب هذه الحياة الدنيا المتعددة الجوانب أو التساوي بين جانبين من جوانب النفس الإنسانية وما فيها من خطوط متقابلة كالروح والجسد وغير ذلك .

– ثانيا: الآيات المكية التي تحدثت عن هذه المادة "وزن" ومشتقاتها أكثر من الآيات المدنية التي تناولت الموضوع ذاته، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة العهد المكي والظروف التي تحيط بذلك المجتمع الجاهلي من اختلال الموازين وانعدام العدل والمساواة وتطفيف الكيل والميزان.

لذلك فقد أولى القرآن الكريم هذه اللفظة اهتماما جليا بهدف وصف ما كان عليه القوم من عدم تحقيق العدل وتفشي الظلم بينهم واختلال المعايير والموازين في ظل جاهلية وظلال كانوا يعيشونه بعيدا عن هدي الله تعالى وشريعته.

المبحث الثاني

الآثار الاجتماعية والنفسية لتحقيق ميزان العدل في ضوء القرآن الكريم.

أولا: مفهوم العدل وأهميته في ضوء القرآن الكريم :

العدل لغة: " العين والدال واللام أصلان صحيحان لكنهما متقابلين كالمتضادين أحدهما يدل على استواء والآخر على اعوجاج"(١)

ويقول الفيروز أبادي : " العدل ضد الجور ، والعدل ما قام في النفوس أنه مستقيم .....وعدل الحكم تعديلا أقامه وعدل الميزان سواه وعادله أي وازنه " (٢):

وقال الراغب : " العدالة والمعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة وهو يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام ، والعدل بكسر العين والعديل فيما يدرك بالحاسة كالموزونات والمكيلات "(٣)

العدل اصطلاحا : هو عبارة عن" الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط ، وقيل هو مصدر بمعنى العدالة وهو الاعتدال والاستقامة والميل إلى الحق" (٤)

يقول الله تبارك وتعالى في سورة الرحمن مقررا أهمية قيمة العدل في حياة الإنسان " وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ " الآية /٧

"وَضَعَ الْمِيزَانَ " ميزان الحق والعدل وضعه ثابتا راسخا مستقرا. وضعه لتقدير القيم. قيم الأشخاص والأحداث والأشياء. كي لا يختل تقويمها، ولا يضطرب وزنها، ولا تتبع الجهل

---

(١)ابن فارس معجم مقاييس اللغة ج٤/ ٣٤٧ – باب العين والدال وما يثلثهما طبعة دار الفكر ١٣٩٩– ١٩٧٩

(٢)القاموس المحيط ١/ ١٠٣٠، باب اللام فصل العين ، تحقيق : مكتبة تحقيق التراث ، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان

(٣)الراغب – المفردات ص ٣٢٥

(٤)الجرجاني : علي بن محمد بن علي – ت ٨١٦ ، التعريفات ، ص ١٩١/ ١٩٢–تحقيق إبراهيم الأبياري – دار الكتاب العربي/ الطبعة الثانية ١٤١٣–١٩٩٢

والغرض والهوى. وضعه في الفطرة ووضعه في هذا المنهج الإلهي الذي جاءت به الرسالات وتضمنه القرآن .

«أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ» .. فتغالوا وتفرطوا.. «وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ» .. ومن ثم يستقر الوزن بالقسط، بلا طغيان ولا خسران ، من ثم يرتبط الحق في الأرض وفي حياة البشر ببناء الكون ونظامه ،يرتبط بالسماء في مدلولها المعنوي ومن ثم يرتبط الحق في الأرض وفي حياة البشر، ببناء الكون ونظامه. يرتبط بالسماء في مدلولها المعنوي حيث يتنزل منها وحي الله ونهجه. ومدلولها المنظور حيث تمثل ضخامة الكون وثباته بأمر الله وقدرته.. ويلتقي هذان المدلولان في

الحس بإيقاعهما وظلالهما الموحية" (١)

إذن استقرار ميزان العدل في حياة الناس وتطبيقه تطبيقا عمليا بينهم بدءا بمعاملاتهم اليومية على هذه الأرض وانتهاءا بمعاملاتهم مع الله تعالى يعد غاية علوية وقيمة عظمى مرتبطة بالسماء ذلك العالم العلوي المنتظم بإرادة الله تبارك وتعالى وقدرته ولأجل هذه القيمة الإيمانية الخلقية حث القرآن العظيم على إعطاء الحقوق دون تفريق بين الناس لأي سبب من الأسباب فأوجب العدل بينهم بل ربط مصير الإنسان بمدى شعوره بأهمية هذا المبدأ فهو من أوجب الواجبات قال تعالى ".. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" الآية ٨/ المائدة

إن هذه الآية الكريمة تقرر مبدأ العدالة الاجتماعية التي هي سمة من سمات هذا الدين الحنيف وهي قائمة على أساس ميزان العدل وإقامته بين الناس جميعا حتى مع اختلاف الدين والجنس واللون وقد حث القرآن الكريم على وجوب العدل في كثير من الآيات الكريمة مستخدما لفظ الميزان كما تقدم في المبحث الأول من هذه الدراسة .

(١)سيد قطب – في ظلال القرآن – ج٦ ص (٣٤٤٩/٣٤٥٠

ثانياً : الآثار الاجتماعية المترتبة على تحقيق ميزان العدل بمفهومه المادي والمعنوي

أولا: تعظيم الكيل والميزان:

عظم الله تبارك وتعالى شأن المكيال والميزان بأن قال تعالى في سورة الرحمن " وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۞ .

قابل الله تعالى بين رفع السماء الذي هو حق وعدل وقدرة والميزان الذي وضعه في الأرض لتحقيق العدل والإنصاف.

وجاء في سورة الحديد اقتران الميزان بإرسال الرسل وإنزال الكتب قال تعالى" لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ" الآية/ ٢٥، فالميزان في هذه الآية الذي أنزل مع الكتاب إنما هو ميزان الحق والعدل والنهي عن أكل أموال بالباطل وعدم بخس الناس أشياءهم، و لذلك قال المفسرون(١) إن هذه الآية أعم وأشمل آيات الوفاء في الكيل والوزن، وجاء بلفظ الميزان مع الكتاب المنزل الذي يستوفي كل إنسان حقه في أي نوع من أنواع التعامل، فكل من غش في سلعته أو دلّس أو زاد في عدد أو نقص فهو مطفف للكيل داخل تحت الوعيد بالويل.

– ومن تعظيم شأن الميزان والمكيال أن الله تبارك وتعالى افتتح سورة المطففين بالويل التي تشير إلى التقريع والتوبيخ لهؤلاء وهي كلمة لا تستعمل إلا عند وقوع ما هو خطير وعظيم الشأن ولا يخفى أن التطفيف في الكيل والميزان إنما هو فعل خطير لأنه مقياس اقتصاد العالم وميزان التعامل فيه فإذا اختل أحدث خللا في اقتصاده وبالتالي اختلال في التعامل وهو فساد كبير (٢)

---

(١)الشنقيطي : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٦٤/٧ ،٦٥– ط دار الفكر بيروت – لبنان عام ١٤١٥، التفسير الكبير الرازي ج٨٤/٣١ ، أبو السعود إرشاد العقل السليم ج٢١٢/٨

(٢)ينظر أبو هزيم – د.أحمد فريد ميزان العدل في سورة المطففين ص/٣٦،٣٨مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون – الجامعة الأردنية مجلد ٣٨ عدد ١ عام ٢٠١١

تطفيف الكيل والميزان : قال الراغب الأصفهاني : طف الطفيف الشيء النزر ومنه الطفافة لما لا يعتد به، وطف الكيل قلل نصيب المكيل له في إيفائه واستيفائه، وفي لسان العرب : الطفيف القليل والطفيف الخسيس الدون الحقير[1] وعند أهل التفسير قال الزمخشري: "التطفيف البخس في الكيل والوزن لأن ما يبخس شيء طفيف أي : قليل حقير" [2]
وعلى ما تقدم فإن صورة التطفيف في معاملات الناس في الميزان والمكيال تكون بالتلاعب في معايير الوزن حتى ينقص وزنها كأن لا يملأ الميزان بما هو موزون من الثمار والحبوب وغيرها بغية إنقاص الوزن وعدم إعطاء حقهم عند البيع والشراء وللمطففين أساليب عديدة يتبعونها لإنقاص الوزن أو الزيادة فيه بحسب مصلحة المطفف وأخذه ما لا يستحقه .

– ومن اهتمام القرآن الكريم بالميزان اهتماما بالغا مجيء لفظ الميزان بصيغ عديدة في ثلاث وعشرين موضعا حث فيها على العناية به بأساليب متنوعة منها :
١= ما جاء في سورة الأنعام في سياق الوصايا العشر قال تعالى " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم ..... الآيات (١٥١-١٥٢
قال صاحب المنار : "(وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) أَيْ وَالسَّابِعُ مِمَّا أَتْلُوهُ عَلَيْكُمْ مِنْ وَصَايَا رَبِّكُمْ أَنْ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ لِلنَّاسِ أَوِ اكْتَلْتُمْ عَلَيْهِمْ لِأَنْفُسِكُمْ، وَالْمِيزَانُ إِذَا وَزَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فِيمَا تَبْتَاعُونَ أَوْ لِغَيْرِكُمْ فِيمَا تَبِيعُونَ، فَلْيَكُنْ كُلُّ ذَلِكَ وَافِيًا تَامًّا بِالْقِسْطِ أَيِ الْعَدْلِ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُطَفِّفِينَ (الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) أَيْ يُنْقِصُونَ الْكَيْلَ وَالْوَزْنَ، وَهُمُ الَّذِينَ تَوَعَّدَهُمُ اللهُ بِالْوَيْلِ وَالْهَلَاكِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ الَّتِي سُمِّيَتْ بِاسْمِهِمْ. فَهَذَا هُوَ النَّهْيُ الْمُقَابِلُ لِلْأَمْرِ بِالْإِيفَاءِ وَهُوَ لَازِمٌ لَهُ، فَالْجُمْلَةُ مُوجَزَةٌ، فَكَلِمَةُ (بِالْقِسْطِ) هِيَ الَّتِي بَيَّنَتْ أَنَّ الْإِيفَاءَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ فِي الْحَالَيْنِ، أَيْ أَوْفُوا مُقْسِطِينَ أَوْ مُلَابِسِينَ لِلْقِسْطِ مُتَحَرِّينَ لَهُ، وَهُوَ يَقْتَضِي طَرَفَيْنِ يُقْسَطُ بَيْنَهُمَا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَرْضَى لِغَيْرِهِ مَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ،

(١) المفردات ص/٣٠٥
(٢) الكشاف ٤/٧١٨

وَأَيْنَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ اتِّبَاعَ الْقُرْآنِ فِي هَذَا الزَّمَانِ مِنْ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ! لَا تَكَادُ تَجِدُ فِي الْمِائَةِ مِنْهُمْ فِي مِثْلِ بِلَادِنَا هَذِهِ بَائِعًا يُوفِي الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ لِمُبْتَاعٍ يُسَلِّمُ الْأَمْرَ لَهُ وَيَرْضَى بِذِمَّتِهِ.)". (١)

٢- وجاء في سورة الأعراف قوله تعالى " وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " الآية /٨٥

ففي نص الآية تصريح بأن عدم إيفاء الكيل والميزان هو بخس للناس وهو فساد في الأرض كبير، فقد دعا شعيب عليه السلام قومه إلى قضية المعاملات اليومية، قضية الأمانة والعدالة، وكان أهل مدين ينقصون المكيال والميزان ولا يعطون الناس حقهم فجاء نبيهم عليه السلام يدعوهم ويأمرهم بأن يوفوا المكيال والميزان بالقسط (بالعدل والحق) وأن لا يقللوا من قيمة أشيائهم ويبين لهم أن عدم

إيفاء الكيل والميزان هو سرقة توجب العذاب يوم القيامة وأمر هذا الإيفاء للحقوق وعدم نقصها ليس مقتصرا على البيع والشراء وإنما تشمل الأعمال جميعها، فهو يحذرهم من ظلم الناس وعدم إعطاء كل ذي حق حقه، ويأمرهم بإعطاء الأجير أجره كاملا من غير نقص، وإذا لم ينتهوا فسوف يؤدي ذلك إلى انهيار المجتمع ودماره، وهذا ما كان في شأن قوم شعيب أن أهلكهم الله وأخذهم بالصيحة. (٢)

وقد جاء في هذا الموضع بأسلوب الأمر بعد النهي لمزيد من التأكيد فقال { وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ} ثم قال {وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ} فبدأ بالدعوة بالأمر بالتوحيد في العبادة لأنه أساس العقيدة وركن الدين الأعظم ثم أتبع ذلك بالأمر بإيفاء الكيل والميزان والنهي عن بخس الناس أشيائهم والبخس أعم من نقص المكيل والموزون لأنه يشمل غيرهما من المبيعات كالمواشي والمعدودات ويشمل المساومة والغش وطرق التحايل التي يلجأ إليها التجار والباعة والقضاة وكل من تولى مصلحة عامة لينتقص بها الحقوق المادية وكذلك بخس الحقوق المعنوية كالعلوم والفضائل وهذا ما هو شائع في زماننا وعصرنا

---

(١)رضا- محمد رشيد القلموني الحسيني - تفسير المنار٨ /١٦ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب- عام / ١٩٩٠.

(٢)الرازي التفسير الكبير ٣٨٤/١٨

من بخس في التطفيف في الكيل والميزان إلى بخس الحقوق من قبل المشتغلين بالسياسة والعلم والقضاء. (١)

ثانيا : العدل أساس الأمن والطمأنينة

وهذا ما أقره الإسلام في تشريعاته، فقد روي عن النبي في الحديث القدسي أن الله تبارك وتعالى يقول "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا" الحديث(٢)

وقال ابن خلدون في مقدمته : "واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم، وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة المراعية للشرع في جميع مقاصده الضرورية". (٣)

فالعدل يؤدي إلى الأمن والاستقرار في المجتمع الإنساني إذ به تحفظ الحقوق فلا يعتدي عليها أحد ، وتصان الحريات وتطمئن النفوس

لذلك أمر الله تعالى به وأوجب تطبيقه والعمل به في جميع مجالات الحياة الإنسانية بل جعله شرعة أنبيائه.

ويعد العدل كذلك أساس الملك والحكم بين الناس فقد ذكر ابن تيمية "إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة ولهذا يروى أن الله تعالى ينصر الدولة العادلة

---

(١)رصا = المنار٨/ ٤٦٩، ٤٦٨

(٢)مسلم – مسلم بن الحجاج ؟؟ – صحيح مسلم حديث رقم ٢٥٧٧ كتاب (البر والصلة) باب/ تحريم الظلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
دار إحياء التراث العربي بيروت

(٣)ابن خلدون "عبد الرحمن بن خلدون – مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٥٣ ، تحقيق د. أحمد محمد الطاهر، ط الأولى عام ٢٠٠٤-١٤٢٥
دار الفجر للتراث – القاهرة

وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة".[1] وعليه فإن الظلم وتضييع الأمانة وإهدار الحقوق هي معالم الخراب والهزيمة، والمقصود أن الأمم الكافرة إن توفرت على معالم قيام الدول ونهضتها أقامها الله وجازاها بجنس عملها، ولا يظلم ربك أحدا، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم:" إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها" [2] فالله تعالى يعطيهم في الدنيا ما يستحقونه باعتبار ما عندهم من خير وما يبذلونه من حق.

ثالثا : العدالة الاجتماعية

من آثار تحقيق ميزان العدل في المجتمع تحقق العدالة الاجتماعية وهي تعني : تحقيق السعادة واليسر والكرامة للإنسان ومنع الجور والظلم والعدوان وتحقيق الرفاهية لأفراد المجتمع في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتحقيق هذا النوع من العدالة أصلا من أصول الدين وقاعدة من قواعده .

(١)ابن تيمية : تقي الدين أحمد عبد الحليم – مجموع الفتاوى ٢٨/ ٦٣,٦٢ ، طبعة الأوقاف السعودية / مجمع الملك فهد سنة ١٤٢٥/٢٠٠٤

(٢)مسلم ، صحيح مسلم ٤/ ٢١٢٦– كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة – ح رقم / ٢٨٠٨

المبحث الثالث

التوازن وآثاره الاجتماعية والفكرية في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول : – التوازن مفهومه وأهميته:

التوازن في اللغة: أصله من "الوزن" وهو: " الثقل والخفة"، والميزان : العدل، يقال وازنه أي: عادله وقابله وحاذاه. (١)

وذكر الجوهر في الصحاح قولهم : "قام ميزان النهار أي : انتصف". (٢)

وقال ابن فارس: "الواو والزاء والنون" بناء يدل على تعديل واستقامة، ووزين الرأي : معتدله هو راجح الوزن إذا نسبوه إلى رجاحة الرأي وشدة العقل. (٣)

الخلاصة: مادة وزن ولفظ الميزان فيه معنى التعديل والاستقامة والتوسط والمقابلة بين طرفين.

- التوازن اصطلاحا:

أشار الكتاب المعاصرون إلى مفهوم التوازن بالوسطية والاعتدال، والتوازن مفهوم يعني : الوسطية أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا يطغى أحد الطرفين على الآخر بأن يأخذ حق الطرف المقابل ويحيف عليه. (٤)

أو: إعطاء كل شيء حقه من غير زيادة ولا نقصان وهو ينشأ عن معرفة حقائق الأشياء ومعرفة حدودها وغايتها ومنافعها.

---

(١)ابن منظور – لسان العرب، مادة "وزن" ٢٠٦/١٥

(٢)الصحاح، مادة "وزن" باب النون فصل الواو ٢٢١٣/٦

(٣)ابن فارس – معجم مقاييس اللغة ٥/١٠ كتاب الواو باب الواو والزاي وما ؟؟

(٤)زيدان – عبد الكريم – أصول الدعوة إلى الله ص/٦٨ ، ط الثالثة ١٩٧٦/١٣٩٦ وينظر سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ص٤٢،ص١١٨ – دار الشروق ط٢٠٠٢/١٥

والتوازن : النظرة المعتدلة للأمور بين أطراف متناقضة، بمعنى البعد عن طرف الإفراط والغلو والتشدد والبعد عن الطرف الآخر وهو التفريط والتهاون. (١)

وقد دلت الآيات القرآنية على هذا المعنى: التعادل والاتزان والمقابلة فقال تعالى "والسماء رفعها ووضع الميزان" الرحمن /٧

فالسماء ممثلة بالشمس والقمر والنجوم والكواكب والميزان هو : التوازن الرابط بين هذه الكتل السماوية يضبطها من الطغيان والانحراف عن مسارها ووظائفها في هذا الكون المتوازن. (٢)

وقال تعالى في سورة الحجر "والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون" الآية ١٩، ذكر سيد قطب في معنى كل شيء موزون : أن الله تبارك وتعالى ذكر في هذه الآية القرآنية آية كونية هي الأرض الممدودة للنظر فيها وهذه الرواسي الملقاة عليها تصاحبها الإشارة إلى النبت الموزون وهو معايش الناس والدواب وأرزاقهم المقدرة لهم بقدر معلوم تابعة لأمره ومشيئته يصرفها للعباد كيف يشاء حسب سنته التي أجراها في الأرزاق فيأخذ كل مخلوق حقه بقدر لا يزيد على غيره ولا ينقص ولا يطغى على غيره.

ففي المعنى المذكور إشارة إلى توازن الكون بما فيه من أجسام مادية ومخلوقات وما قدر الله تبارك وتعالى من أحوال وأرزاق ومعايش يستقيم معها الكون والمخلوقات وفق منظومة متوازنة متعادلة الأطراف. (٣)

ومن الآيات الدالة على معنى التوازن قوله تعالى "وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا"(٤) **فالدنيا والآخرة طرفان الأصل أن نوازن بينهما بحيث لا يطغى طرف (الدنيا) على الطرف الآخر (الآخرة) ولا العكس.**

---

(١)محمد عقيل موسى التنازع والتوازن في حياة المسلم ص ١٣ مؤسسة الصحافة والطباعة جدة

(٢)سيد قطب الظلال ٦/٣٤٥

(٣)الظلال ٤/٢١٣٤ ٣٤٥٠

(٤)القصص / ٧٧

– أهمية التوازن في ضوء القرآن الكريم

في ضوء ما تقدم، التوازن منهج رباني وأصل في الشريعة الإسلامية وهو مطلوب على مستوى الفرد والمجتمع والحياة في جميع جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وهذا معنى قوله تعالى في بيان فضل أمة الإسلام على سائر الأمم قال تعالى "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا". (١)

والتوازن قانون إلهي كوني قال تعالى "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون" (٢) ، فالأجرام السماوية بينها توازن عجيب مذهل للعقول والإنسان جزء من هذا الكون المتوازن وعليه أن يتصرف في حياته بتوازن منسجم مع الكون في السلوك والمواقف والاتجاهات، وعليه أن يوازن بين أهدافه فلا يطغى بعضها على بعض كما يجب الموازنة بين حاجاته الجسمية والروحية، وبين العاطفة والعقل.

والتوازن سمة الإسلام عقيدة وشريعة، فالعقيدة الإسلامية جاءت متوازنة حيث قابلت باعتدال بين عالم الغيب وعالم الشهادة، فأعطت تصورا شاملا عن الخالق عز وجل وعن الملائكة والقدر واليوم الآخر، كما أعطت تصورا شاملا عن الكون والإنسان والحياة كعالم مشاهد محسوس.

كما وازنت بين الجانب المادي في الإنسان (جسده) والجانب الروحي فشرعت أحكاما للاعتناء بالإنسان في جسمه وعقله وروحه، فهي تمزج بين عالم الجسد وعالم الروح وتشركهما معا في مجال العمل ومجال العبادة، وجعلت لكل من هذه الجوانب الاعتناء الكامل دون الاهتمام بأي منها على حساب الآخر، كما هو الحال في العقائد الجاهلية التي اختل فيها التوازن فاهتمت بجانب الروح وحدها كالهندوسية والبوذية أو الجاهلية المعاصرة في أوروبا التي اهتمت بجانب الجسد وحده.

وقد طبق النبي هذا التوازن في كينونة الإنسان تطبيقا عمليا من خلال تلبية حاجات الجسد وتلبية حاجة الروح في العبادة، فقد ورد في الحديث الصحيح "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي "صلى الله عليه وسلم " يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا

---

(١)البقرة / ١٤٣

(٢)يس / ٤٠

وأين نحن عن النبي "صلى الله عليه وسلم " قد غفر له ما تقدم من ذنبه ، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر ،،،،، فجاء رسول الله "صلى الله عليه وسلم "فقال : أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني " . (١)

ومن هديه صلى الله عليه وسلم في الحث على تحقيق التوازن في العبادة ما جاء في الحديث أن النبي آخى بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال: ما شأنك قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال له: كل فإني صائم قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نم فنام ثم ذهب يقوم فقال له سلمان: نم فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصلينا جميعا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، فأعطِ كل ذي حق حقه، فأتى النبي فذكر ذلك له فقال النبي : صدق سلمان. (٢)

وفي رواية عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي لما أخبر بأنه يصوم النهار ويقوم الليل قال له : "لا تفعل صم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن ؟ عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا". (٣)

وقد وازن الإسلام بين الدنيا والآخرة ويتحقق هذا التوازن بعدم الفصل بينهما، فالإسلام يربط بين الدنيا والآخرة ربطا متوازنا في حس المسلم، إذ لو فصل المسلم بين الحياة الدنيا

---

(١)العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ٩/١٠٤ كتاب النكاح ح/رقم (٥٠٦٣) دار المعرفة بيروت ط ١٣

(٢)البخاري – محمد بن إسماعيل الجعفي ، صحيح البخاري ، كتاب الصوم / باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ح رقم (١٩٦٨) ج ٣٨/٣
تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر ،ترقيم – محمد فؤاد عبد الباقي ،الطبعة الأولى عام ١٤٢٢،دار طوق النجاة .

(٣)المرجع السابق كتاب النكاح / باب لزوجك عليك حق ح (٥١٩٩) ج ٣١/٧

والآخرة لعمل للدنيا فقط وأهمل العمل للآخرة فيحدث اختلال التوازن بينهما، فلو سعى للعمل والكسب وتلبية شهوات النفس لركن إلى الدنيا فحسب ونسي الآخرة، ولو غلب عليه السعي للدار الآخرة لزهد في متاع الدنيا وانشغل بالعبادة عن طلب الرزق وعمارة الأرض وتحقيقا لهذا التوازن جاء التوجيه الإلهي للإنسان في قوله تعالى في سورة القصص "وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا" الآية / ٧٧.

المطلب الثاني

الآثار الإجتماعية والفكرية لقيمة التوازن في ضوء القرآن الكريم

التوازن في المجتمع الإسلامي سمة بارزة من سماته وهو أساس من أسس حياة الفرد والجماعة في ظل الإسلام عقيدة وشريعة، ولهذا التوازن آثار جلية في المجتمع الإسلامي في جوانب عديدة ومجالات متنوعة، فإن تحقق التوازن على النحو الذي أمرنا الله به كان لذلك آثار ايجابية على الفرد تنعكس على المجتمع الذي يعيش فيه، كما أن انعدام هذه القيمة يؤدي إلى آثار سلبية في حياة الفرد والمجتمع وذلك لأن الفرد هو أساس المجتمع.

– ومن الآثار الاجتماعية لتحقيق قيمة التوازن:

١– التوازن النفسي: المقصود بالتوازن النفسي كأثر اجتماعي هو: التوافق الداخلي بين مكونات النفس الإنسانية الغرائز الفطرية والحاجات الجسدية والعقلية وتلبيتها بحيث لا يطغى جانب منها على غيره.(١)

وبناء عليه فإن التوازن النفسي هو تلبية حاجات النفس البشرية الجسدية والروحية والعقلية بشكل متساو، بحيث لا يطغى جانب على آخر وإذا تحقق هذا التوازن في النفس فإنه ينعكس على الفرد بسلوكياته فنجده مطمئنا هادئ النفس خال من التوتر النفسي والقلق والاضطراب، ثم ينعكس ذلك التوازن على المجتمع فيصبح مجتمعا متوازنا لا مجال فيه للانحرافات السلوكية والتردي الأخلاقي بل يكون مجتمعا يسمو بقيمه الخلقية نحو الأفضل والأمثل.

٢– الاستقامة على أمر الله تعالى واتباع الصراط المستقيم والثبات عليه، ولا يتحقق ذلك إلا بالاعتدال والتوازن دون إفراط ولا تفريط، لأن الزيغ عن الحق يكون بهما، كما هو حال أهل البدع والضلالات قال تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

(١)عبد الحليم : محمد الحسن خالد – الاضطرابات النفسية ،ص١٦، مركز التنمية الأسرية – الإحساء ، ١٤٢٩

عَنْ سَبِيلِهِ}[١] فالصراط المستقيم في الآية هو الإسلام قاله ابن عباس رضي الله عنه وروي عن عبد الله بن مسعود هو القرآن. [٢]

وأما قوله تعالى {وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} أي البدع والضلالات قاله مجاهد. [٣]

وقد ذكر سيد قطب عند تفسيره للآية الكريمة {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[٤]، أن معنى الاستقامة الاعتدال والمضي على المنهج دون انحراف وهو في حاجة إلى اليقظة الدائمة والتدبر الدائم والتحري الدائم لحدود الطريق، وضبط الانفعالات البشرية والموازنة بينها لأن الانفعالات إذا تركت دون ضبط وموازنة تميل الاتجاه قليلا أو كثيرا، والنهي عن الطغيان بعد الأمر بالاستقامة للإشارة إلى أن الأمر بين حدين إما استقامة واعتدال وتوازن وإما طغيان ومجاوزة للحد وفي ذلك إفراط وغلو، والإفراط والغلو يخرجان هذا الدين عن طبيعته ولا يصل الإنسان إلى الهداية المقصودة. [٥]

٣- التوازن في السلوك والمواقف والاتجاهات.

إذا تحققت قيمة التوازن في حياة المجتمع المسلم كان الفرد متوازنا في سلوكه فهو يوازن بين أهدافه فلا يطغى بعضها على بعض وهو يوازن ويساوي بين واجباته، يصقل روحه في العبادة ومجالس الذكر والرفقة الصالحة وقراءة القرآن، قال ابن حزم "السعيد من أنست نفسه بالفضائل والطاعات ونفرت من الرذائل والمعاصي...كما أن سعادة الإنسان بصلاح

---

(١)الأنعام الآية / ١٥٣

(٢)الطبري – جامع البيان ٦٧١/٩

(٣)مجاهد – أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي – تفسير مجاهد ج / المحقق: د.محمد عبد السلام – دار الفكر الإسلامي الحديثة – مصر / ط الأولى ١٤١٠-١٩٨٩

(٤)هود / ١١٢

(٥)قطب – الظلال ، ٤ / ١٩٣١

قلبه وروحه لأن بصلاحهما يصلح الجسد كله، فصلاح القلب مستلزم لصلاح سائر الجسد وفساده مستلزم لفساد سائر الجسد. (١)

وهو كذلك يهتم بجسده وبنيته ليكون قويا فيحرص على تغذيته بالطعام والشراب والتدريب بالرياضة وحسن الهيئة وقد حرص النبي ﷺ أن يكون المسلم كالشامة أي علامة بارزة في شكله وسلوكه فقال ﷺ لأصحابه وكانوا في سفر قادمين على إخوانهم "إنكم قادمون فأصلحوا رحالكم وأحسنوا لباسكم حتى تكونوا شامة بين الناس فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش". (٢)

٤- التوازن طريق النجاة والسلامة والبلوغ إلى المقصد.

التوازن في حياه الإفراد والمجتمعات هو طريق النجاة والسلامة وذلك لأن التوازن يعني الاستقامة وهو يعني العدالة وضده الانحراف عن الجادة، وقد حثنا النبي ﷺ على الالتزام بالوسط والاعتدال في الأمور للبلوغ إلى المقصد والبغية فقال: " القصد القصد تبلغوا"(٣)

(١)ابن حزم – أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي – الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، جـ١ / ١٨-١٩ ، ط الثانية ١٩٧٩ دار الآفاق الجديدة.

(٢)البيهقي – أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني / شعب الإيمان ، جـ ٨ / ٢٦٦ ح رقم ٥٧٩٤ ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ / ٢٠٠٣ مكتبة الرشد للنشر الرياض

(٣)البخاري في الصحيح – كتاب الرقاق ح (٦٤٦٣) باب / القصد والمداومة على العمل جـ ٨/ ٩٨

ثانيا: التوازن الفكري تعريفه وأهميته:

التوازن الفكري مصطلح جديد في التراث الفكري والذين استخدموه مضافا إلى التفكير لم يقصدوا به معنى واحد ولكن عدوا ذلك وصفا إيجابيا لعملية التفكير التي توصل إلى نتائج صحيحة فهو مرادف لمصطلح التفكير المنطقي أو المنطق في التفكير الذي ينبئ عن مقدمات صحيحة لإعطاء نتائج صحيحة، وهو كذلك بمعنى الفكر المتوسط أو وسطية التفكير وعليه فالتوازن الفكري هو الفكر المتوسط طرفي النقيض أو بين الإفراط والتفريط وهو يقابل الوسطية. (١)

أو هو : "الاعتدال في الصواب والخطأ في الرأي وفي نتاج العقل ومخرجاته وهو ملكة تحمي صاحبها من التطرف في الرأي والعقل وتقربه من الحق والصواب" (٢).

وأصل التوازن الفكري في المجتمع الإسلامي يرجع إلى تكريم الله تعالى للإنسان بالعقل الذي هو مناط التكليف وحثه على استخدام عقله في التفكير والتدبر والنظر في آيات الله الكونية والنفسية للوصول إلى حقيقة الإيمان بالله إيمانا صحيحا بعيدا عن الضلالات والانحرافات قائما على أساس التوحيد الخالص والعبودية الحقة لله عز وجل. والآيات القرآنية الدالة على هذا المعنى كثيرة جدا لا مجال لبسطها في هذا المقام.

والتوازن الفكري ينتج عن التوازن في شخصية المسلم وهي ميزة يمتاز بها المجتمع الإسلامي وهي تقوده نحو التفكير الوسطي المعتدل الذي يكون بين طرفي النقيض أي بين الإفراط والتفريط في الحكم على الأشياء وفي تصور الأحداث والوقائع، والتوازن في التفكير يحمي الإنسان من الغلو والتطرف وهو ما يشهد له عالمنا المعاصر اليوم نظرا لاختلال الموازين ومنها ميزان التفكير والبعد عن المنطق، فأصبح المجتمع بأفراده يسيرون نحو التطرف والغلو في التفكير بخلاف ما أرشدنا إليه المنهج القرآني وديننا الإسلامي الحنيف.

---

(١)ألسعيدي / د.محمد إبراهيم ألسعيدي ، مقالة بعنوان مفهوم التوازن الفكري ٣/جمادى الأولى/١٤٣١ هـ ، الدرر السنية

(٢)العوفي – الشريف حاتم العوفي ، مقالة بعنوان (التوازن الفكري) بتاريخ ٢٠١٣/١٠/١١ ، مركز نماء للبحوث والدراسات

فالإنسان بطبعه الخطأ فلا عاصم له من الخطأ إلا بتأييد الله تعالى كما هو شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين ثبتت لهم العصمة، فالخطأ في التفكير لا يضر الفرد أو المجتمع ولكن الغلو في الخطأ والتمادي فيه هو الإفراط بعينه وهو ضد التوازن في التفكير وخلاف المنطق.

وقد نهى الله تبارك وتعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين وجعل ذلك تحذيرا وشرعة لنا فقال تعالى {يا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ..الآية} (١)

والآية الكريمة دليل على اختلال التفكير وعدم التوازن، ففي الآية محاجة للنصارى خاصة بعد محاجة اليهود وإقامة الحجة عليهم، وذلك بعد مغالاتهم في شأن عيسى عليه السلام فبالغوا في تحقيره وإهانته والكفر به ففرطوا كل التفريط، ثم جاءت النصرانية فغلت النصارى في تعظيمه "عليه السلام" وتقديسه فأفرطوا كل التفريط، فجاء النهي لكلا الفريقين عن المغالاة في الدين وتجاوز الحدود التي حدها الله لهم في التفكير ونسبة الباطل إلى عيسى عليه السلام. ثم جاء التعقيب على اختلال ميزان التفكير عند اليهود والنصارى حول عيسى عليه السلام بالتصور المتوازن فقال عز وجل {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} (٢)

وذكر سيد قطب عند تفسيره للآية قوله: "لقد تولى القرآن الكريم تصحيح عقائد أهل الكتاب التي جاء فوجدها مليئة بالتحريفات مشحونة بالأساطير كما تولى تصحيح عقائد المشركين المختلفة من بقايا الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام في الجزيرة العربية، لا بل جاء الإسلام ليتولى تصحيح العقيدة في الله للبشر جميعا وينقذها من كل انحراف، وكل غلو وكل تفريط في تفكير البشر أجمعين". (٣)

(١)النساء / ١٧١
(٢)المنار ، ٧/٦
(٣)الظلال ٢ / ٨١٥

ومن آثار انعدام التوازن الفكري في المجتمع الإسلامي، ظهور فرق وجماعات متطرفة تسيء إلى الإسلام في فكره وعقائده وهو ما نشهده اليوم في زماننا الذي نعيش فيه، فإن التطرف الفكري وعدم التوازن والاعتدال في التفكير أدى إلى ظهور فرق وأحزاب وجماعات تتصف بالغلو وعدم الاتزان كجماعة التكفير والهجرة والصوفية وغيرها من الفرق والأحزاب السياسية والدينية.

– التعصب للرأي وعدم قبول الرأي الآخر وهذا كذلك ناتج عن غياب التوازن الفكري، لأن التوازن الفكري يقوم على إدراك حقيقة النفس البشرية وقصور العقل للإنسان، فيجعلك تشعر بأن رأيك صواب يحتمل الخطأ وخطأ يحتمل الصواب وهذا هو منهج الفقهاء في مسائل الاجتهاد.

– وقد حذر النبي ﷺ من اختلال الموازين في جميع مجالات الحياة ومنها مجال التفكير فقد روي عن الأحنف بن قيس عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: "هلك المتنطعون" قالها ثلاثا [(١)]، والمتنطعون هم الذين يغالون ويتجاوزون الحد في أقوالهم وأفعالهم وتصوراتهم وأفكارهم. وقد أشار النبي ﷺ في الحديث المروي عنه إلى أن اختلال الموازين يكون قبيل الساعة فقال "قبل الساعة سنون خداعة يكذّب فيها الصادق ويصدّق الكاذب ويخوّن فيها الأمين ويؤتمن فيها الخائن وينطق فيها الرويبضة، قيل وما الرويبضة قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة" [(٢)].

وقد ذكر ابن تيمية كلاما يبين فيه أهمية التوازن الفكري وأثره في استقامة المجتمع فقال: "استقامة الموازين الاجتماعية واتزان المفاهيم واستقرارها حيث لا ينقلب المنكر معروفا والمعروف منكرا. لذا نجد أن من أشد الأمور خطورة انتشار المنكرات ثم تواطؤ المجتمع على السكوت عنها ثم قبولها أخيرا، فإذا بلغت المنكرات درجة القبول عند الناس، وذلك بأن يروها أمورا معتادة لا حاجة لاستنكارها فضلا عن الإنكار على مرتكبيها، إذا بلغ الحال

---

(١)صحيح مسلم / كتاب العلم / باب "هلك المتنطعون" ج٤/٢٠٥٥ ح (٢٦٧٠).

(٢)ابن ماجة: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، ٢ / ١٣٣٩ كتاب الفتن ح (٤٠٣٦)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
دار إحياء الكتب العربية

هذا الحد، فإن المجتمع يفقد موازينه المستقيمة وتذوب مفاهيمه الصحيحة لكل القيم الفضيلة، وعندئذ يعجز كل قانون عن التأثير في الناس ولا سيما القوانين الوضعية التي تقوم على مبدأ عدم التدخل في الحريات الشخصية. فلو نظرنا إلى كثير من المجتمعات الإباحية نجد أن الأمور قد انفلتت من يد السلطات إذ أصبح المجتمع لا يستنكر سلوك الانحراف والشذوذ، والسلطة لا تقدر على محاربة الرذائل والمخدرات والجرائم التي يعتدي فيها على حرمات الناس. بينما جند المجتمعات الإسلامية –على وجه العموم– لا تزال تحتفظ بأصولها ومبادئها، مما جعل السلوك المنحرف والشذوذ والخروج على قيم المجتمع أمورا مستقبحة ومستنكرة من عامة الناس." (١)

وأخيرا فإن التوازن في التفكير ينعكس إيجابا على شخصية الفرد وسلوكه مع الآخرين في المجتمع فيصبح الإنسان إيجابيا مع كل ما يدور حوله فهو لا يكذب ليبرر الخطأ عند وقوعه فيه ولا يتقاعس عن عمله إذا لم يتقاضى أجرا كافيا، ولا يتلف الممتلكات العامة في حال الشعور بالظلم، وهو لا يكلف الآخرين مالا يطيقون بل يقبل العذر في حال التقصير والخطأ، وهذا هو منهج الإسلام في التربية والتوجيه للأخلاق نحو المثل العليا والقيم الفضلى.

(١)ابن تيمية : الحسبة ، ص٦

الخاتمة

الحمد له الذي تتم بنعمته الصالحات وبفضله ومنته تقضى الحاجات ، وقد أتم الله علي نعمته بتمام هذا البحث لأقف من خلاله على موضوع له أهميته في المجتمع الإسلامي لمعرفة مفهوم الميزان وأهميته ي حقيق معنى العدل والتوازن وآثارهما الاجتماعية والنفسية والفكرية في ضوء دراسة قرآنية موضوعية ويحسن بي وقد انتهيت من هذه الدراسة أن أذكر أهم نتائجها .

تمخضت الدراسة عن النتائج الآتية :

أولا: : وردت مادة "وزن" المتعلقة بلفظ الميزان في السياق القرآني في ثلاث وعشرين موضعا ثماني عشرة منها في السور المكية وخمسة في السور المدنية ي إحدى وعشرين آية، وقد جاءت هذه المواضع في أربع وعشرين سورة اثنتا عشرة منها مكية و سورتان مدنيتان .

ثانيا: الآيات المكية التي تحدثت عن هذه المادة "وزن" ومشتقاتها أكثر من الآيات المدنية التي تناولت الموضوع ذاته، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة العهد المكي والظروف التي تحيط بذلك المجتمع الجاهلي من اختلال الموازين وانعدام العدل والمساواة وتطفيف الكيل والميزان.

لذلك فقد أولى القرآن الكريم هذه اللفظة اهتماما جليا بهدف وصف ما كان عليه القوم من عدم تحقيق العدل وتفشي الظلم بينهم واختلال المعايير والموازين في ظل جاهلية وظلال كانوا يعيشونه بعيدا عن هدي الله تعالى وشريعته.

ثالثا: لمادة "الميزان" في القرآن الكريم خمس صيغ على النحو الآتي:

الصيغة الأولى:الفعل المجرد للمعلوم على وزن "فَعَلَ" وقد وردت في السياق القرآني ثلاث مرات وذلك في قوله تعالى "وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالفسطاط المستقيم" وقوله تعالى "وزنوا بالقسطاس المستقيم" .

- الصيغة الثانية:المصدر "الوزن" من الفعل الثلاثي المجرد "وزن" والوزن من وزنت كذا وكذا أزنه وزنا وزنة مثل: وعدته أعده وعدا وعدة ، جاءت ثلاث مرات في السياق القرآني قال تعالى "والوزن يومئذ الحق" وقوله تعالى "فلا نقيم لهم يوما القيامة وزنا"

- وقوله تعالى "وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان".

الصيغة الثالثة: الميزان على وزن "مفعال" كالميلاد والميعاد اسم للآلة التي يوزن بها الأشياء ، ورد تسع مرات في القرآن الكريم كقوله تعالى" والسماء رفعها ووضع الميزان " " ألا تطغوا في الميزان " " وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان"

- الصيغة الرابعة : صيغة جمع التكسير (الموازين) جمع ميزان على وزن " مفاعيل " جاءت هذه اللفظة سبع مرات في السياق القرآني نحو قوله تعالى " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة "

الصيغة الخامسة :

موزون اسم المفعول من الفعل وزن " يزن ، وقد جاءت هذه الصيغة في موضع واحد من الآيات قوله تعالى " والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ".

رابعا : – في ضوء ما تقدم من دراسة الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الميزان ومادة " وزن" بصيغها ومشتقاتها دلت الآيات على المعاني الآتية :

١– الإيفاء والتسوية ٢– العدل من غير زيادة ولا نقصان

٣– التعديل والاستقامة ٤– معرفة قدر الأشياء وأخيرا آلة الوزن التي توزن بها الأشياء وتعرف بها مقاديرها كالميزان والمكيال والقرطاس.

خامسا: ولعل أكثر المعاني أثرا وتأثيرا في حياتنا والتي تدور حولها الآيات هو : العدل المتمثل بالحق وإعطاء كل ذي حق حقه وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بالميزان تقريبا للأذهان فالميزان الذي يتعامل به الناس في حياتهم اليومية ومعاملاتهم في البيع والشراء إنما يقوم على تعادل وتساوي كفتي الميزان في الموزونات والمكاييل وهو العدل والحق .

وأما المعنى الثاني والذي لاتقل أهميته عن المعنى الأول في التأثير والأثر على الحياة الإنسانية هو : التوازن القائم على تساوي كفتي الميزان.

سادسا : الآثار الاجتماعية والنفسية لتحقيق ميزان العدل في ضوء القرآن الكريم تتمثل ب:

– تعظيم الكيل والميزان وعدم التطفيف في المكيل والموزون من الناحية المادية وكذلك المعنوية أي:بخس الناس حقوقهم.

– تحقيق الأمن والاستقرار النفسي لأفراد المجتمع

– تحقق العدالة الاجتماعية التي تعمل على تحقيق السعادة واليسر والكرامة للإنسان وهي قاعدة من قواعد الإسلام .

سابعا : الآثار الإحتماعية والفكرية لقيمة التوازن في ضوء القرآن الكريم وأبرزها التوازن النفسي للفرد في المجتمع .

– الاستقامة على أمر الله تعالى ، والتوازن في السلوكيات والاتجاهات،

– التوازن الفكري تعريفه وأهميته وعلاقته بالوسطية وبيان أهم الآثار المترتبة على غياب التوازن الفكري في المجتمعات الإنسانية .

هذا ما تيسر جمعه والدلالة عليه، وبالله تعالى التوفيق، وأسأله سبحانه حُسنَ القبول، وحُسنَ الخِتام، وآخرُ دعوايَ أن الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التتوصيات :

توصي الباحثة بمزيد من التوجه للدراسة الموضوعية في القرآن الكريم وربط ذلك بواقعنا المعاصر وما نشهده اليوم في العالمين العربي والإسلامي من غياب للقيم الخلقية الإسلامية في الواقع العملي وتسليط الضوء على الآثار الاجتماعية والنفسية والفكرية المترتبة عليها في حال تطبيقها و في حال عدم التطبيق . والله من وراء القصد

المصادر والمراجع :

١. الآلوسي : شهاب الدين محمود عبد الله الحسيني – روح المعاني ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى ١٤١٥هجري .
٢. البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر ،ترقيم – محمد فؤاد عبد الباقي ،الطبعة الأولى عام ١٤٢٢،دار طوق النجاة
٣. البيضاوي : ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي– أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هجري .
٤. البيهقي – أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني / شعب الإيمان ، ح رقم ٥٧٩٤ ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ / ٢٠٠٣ ، مكتبة الرشد للنشر الرياض .
٥– الجرجاني : علي بن محمد بن علي– التعريفات ، –تحقيق إبراهيم الأبياري – دار الكتاب العربي/ الطبعة الثانية ١٤١٣–١٩٩٢
٦– الجوهري _ إسماعيل بن حماد ، الصحاح ، تحقيق – أحمد عبد الغفور العطار
٧– الرازي : أبو عبد الله محمد بن عمرين الحسن التيمي ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) – دار إحياء التراث العربي – بيروت، طبعة الثالثة – ١٤٢٠
٨. الراغب الأصفهاني : الحسين بن محمد ، المفردات ، دار المعرفة – بيروت تحقيق ، مجمد سيد الكيلاني
٩. الزجاج : إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق– معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٨–١٩٨٨)

١٠- الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد – الكشاف ،دار الكتاب العربي- بيروت ، ط ٣، ١٤٠٧هجري ١١
١١. السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين – الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط / ١٣٩٤- ١٩٧٤
١٢. الشنقيطي : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – دار الفكر – بيروت (عام ١٤١٥) .
١٣. الطبري _ أبو جعفر محمد ين جرير- جامع البيان (تفسير الطبري)، تحقيق د. عبدا لله بن عبد المحسن التركي ،د. عبد السند يمامه – دار هجر للطباعة والنشر –، سنة ٢٠٠ – تحقيق / أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠- ٢٠٠٠ .
١٤. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب النكاح- ح (٥٠٦٣)، دار المعرفة بيروت ط ١٣
١٥. الفيروز أبادي ،محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي ط، دار الحديث القاهرة ١٤٢٩ / ٢٠٠٨
١٦. القرطبي – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجى، الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)
تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم طفيش ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية
١٧. الكفوي – أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق د عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط ٢ (١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م) .
١٨. – ابن تيمية : تقي الدين أحمد عبد الحليم – مجموع الفتاوى ، طبعة الأوقاف السعودية / مجمع الملك فهد- سنة ١٤٢٥ /٢٠٠٤
١٩- – الحسبة ، نسخة الكترونية – المكتبة الوقفية .
٢٠. ابن حزم – أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي – الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، ط الثانية ١٩٧٩ دار الآفاق الجديدة.

٢١- ابن خلدون "عبد الرحمن بن خلدون - مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د. أحمد محمد الطاهر، ط الأولى عام ٢٠٠٤-١٤٢٥ ، دار الفجر للتراث - القاهرة .

٢١. ابن عاشور - محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ط ، الدار التونسية للنشر .

٢٢- ابن عطية : عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي ألمحاربي - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت ،الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢

٢٣- ابن فارس : أحمد بن فارس - معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، طبعة دار الجيل (١٤٢٠- ١٩٩٩)

٢٤. ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، ٢ / ١٣٣٩ كتاب الفتن ح (٤٠٣٦)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .

٢٥. ابن منظور - جمال الدين محمد بن مكرم - لسان العرب، دار صادر ط ٢٠٠٣ .

٢٦- أبو حيان الأندلسي :محمد بن يوسف بن علي - البحر المحيط ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر - بيروت ط عام ١٤٢٠

٢٧. أبو هزيم - د.أحمد فريد ميزان العدل في سورة المطففين - مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون - الجامعة الأردنية مجلد ٣٨
العدد الأول - عام ٢٠١١

٢٨- رضا : محمد رشيد القلموني الحسيني - تفسير المنار، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب- عام / ١٩٩٠.

٢٩ - زيدان : عبد الكريم - أصول الدعوة إلى الله ، ط الثالثة ١٣٩٦/١٩٧

٣٠- عبد الحليم : محمد الحسن خالد - الاضطرابات النفسية ، مركز التنمية الأسرية - الإحساء ، ١٤٢٩.

٣١- قطب : سيد قطب إبراهيم حسين - في ظلال القرآن ٤/ ٢١٣٤ ، دار الشروق بيروت - القاهرة ، الطبعة ١٧-١٤١٢

٣٢- خصائص التصور الإسلامي- دار الشروق ط١٥/٢٠٠٢

٣٣- مجاهد – أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي – تفسير مجاهد ، المحقق: د.محمد عبد السلام – دار الفكر الإسلامي الحديثة – مصر / ط الأولى ١٤١٠-١٩٨٩

٣٤- مسلم : مسلم بن الحجاج – صحيح مسلم حديث رقم ٢٥٧٧ كتاب (البر والصلة) باب/ تحريم الظلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣٥- موسى : محمد عقيل – التنازع والتوازن في حياة المسلم – مؤسسة الصحافة والطباعة جدة- المقالات : المواقع الإلكترونية

٣٦- ألسعيدي / د.محمد إبراهيم ألسعيدي ، مقالة بعنوان مفهوم التوازن الفكري ٣/جمادى الأولى/١٤٣١ هـ ، الدرر السنية.

٣٧- العوفي – الشريف حاتم العوفي ، مقالة بعنوان (التوازن الفكري) بتاريخ ٢٠١٣/١٠/١١ ، مركز نماء للبحوث والدراسات